مقاصد السور .. دراسة نظرية .. تطبيقية على سور آل حم

القسم الأول: الدراسة النظرية

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، ملك يوم الدين، والصلاة والسلام على النبي الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن الله تعالى أنزل القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، وجعله هاديًا للتي هي أقوم، أنزله على نبينا محمد ولم يجعل له عوجًا، فهو غاية الفصاحة، ونبراس البيان .

ومن وجوه البيان العظيمة، والتي تنبيك عن براعة هذا القرآن، وحسن فصاحته ((أنك تقرأ السورة الطويلة المنجمة يحسبها الجاهل أضغاثًا من المعاني حشيت حشوًا، وأوزاعًا من المباني جمعت عفوًا؛ فإذا هي – لو تدبرت – بنية متماسكة قد بنيت من المقاصد الكلية على أسس وأصول، وأقيم على كل أصل منها شعب وفصول، وامتد من كل شعبة منها فروع تقصر أو تطول؛ فلا تزال تنتقل بين أجزائها كما تنتقل بين حجرات وأفنية في بنيان واحد قد وضع رسمه مرة واحدة، لا تحس بشيء من تناكر الأوضاع في التقسيم والتنسيق، ولا بشيء من الانفصال في الخروج من طريق إلى طريق، بل ترى بين الأجناس المختلفة تمام الألفة، كما ترى بين آحاد الجنس الواحد نهاية التضامّ والالتحاق.

كل ذلك بغير تكلفة ولا استعانة بأمر من خارج المعاني أنفسها، وإنما هو حسن السياقة ولطف التمهيد في مطلع كل غرض ومقطعه وأثنائه، يريك المنفصل متصلًا، والمختلف مؤتلفًا.

ولماذا نقول: إن هذه المعاني تنتسق في السورة كما تنتسق الحُجُرات في البينان؟ لا، بل إنها لتلتحم فيها كما تلتحم الأعضاء في جسم الإنسان، فبين كل قطعة وجارتها رباط موضعي من أنفسهما، كما يلتقي العظمان عند المفصل ومن فوقهما تمتد شبكة من الوشائح تحيط بهما عن كثب، كما يشتبك العضوان بالشرايين والعروق والأعضاء؛ ومن وراء ذلك كله يسري في جملة السورة اتجاه معين، وتؤدي بمجموعها غرضًا خاصًّا، كما يأخذ الجسم قوامًا واحدًا، ويتعاون بجملته على أداء غرض واحد، مع اختلاف وظائفه العضوية.

فيا ليت شعري: إذا كانت كافة الأجزاء والعناصر التي تتألف منها وحدة السور منوطة بأسباب لم تكن كلها واقعة ولا متوقعة، وكان لا بد لتمام هذه الوحدة من وقوع تلك الأسباب كلها في عصر نزول القرآن ليتناولها ببيانه، فما الذي أخضع دورة الفلك لنظام هذه الوحدات وجعل هذه النوازل تتوارد بأسرها في إبان التنزيل؟ لماذا لم يتفق في حادثة واحدة منها أن تخلفت عن عالم الوجود يومئذ لينخرم هذا النظام، فتجيء سورة من السور مبتورة في مفتتحها أو في مختتمها أو فيما بين ذلك؟ أليس مطاوعة تلك الأحداث الكونية ومعاونتها بدقة دائمًا لنظام هذه الوحدات البيانية، شاهدًا واضحًا على أن هذا القول وذاك الفعل كانا يجيئان من طريق واحدة، وأن الذي صدرت هذه الكلمات عن علمه، هو نفسه الذي صدرت تلك الكائنات عن مشيئته؟

بل ليت شعري لو أن هذا الإنسان الغريب الذي جاء القرآن على لسانه كان قد أحصى ما سوف يلده الزمان من مفاجآت الحوادث المستقبلة صغيرة وكبيرة في مدى دهره، ثم قدر ما سوف تتطلبه تلك النوازل من تعاليم الفرقان، فما علمه بالنظام البياني الذي ستوضع عليه صيغة تلك التعاليم؟ ثم ما علمه أي هذه التعاليم سيكون قرينة لهذا الجزء أو ذاك؛ ليتأهب لتلك القرائن قبل ورودها فيودع في كل جزء ساعة نزوله عروة لائقة بقرينته المعينة، حتى إذا قدمت استمسكت بعروتها فازدوجت بقرينها ذلك الازدواج المحكم؟ ولماذا حين وردت كل قرينة وجدت من قرينها جارًا لا يجور ولا يجار عليه، ووجدت بجانبه المكان الذي ينتظرها، لا ضيقًا فيزاحمها ويتبرم بها، ولا واسعًا فتنقطع الصلة بينهما، بل وجدت مقدرًا بمقدارها، حتى لا حاجة إلى الاستدراك على الماضي بمحو حرف، ولا بزيادة حرف، ولا بتبديل وضع، وحتى لا مجال هنا لقول: "ليت ... " ولا "لو إن....".

بل كيف عرف كل جزء من الأجزاء أين مجموعته، وأين مستقره بينها في رأس أو صدر أو طرف: من قبل أن تتبين سائر الآحاد والفصائل.. حتى إذا تم توزيع تلك الأجزاء المتفرقة، والأشلاء الممزقة، إذا الستار يرتفع في كل سورة عن دمية حسناء كاملة الأعضاء متناسقة الحلي؟

أي تدبير محكم، وأي تقدير مبرم، وأي علم محيط لا يضل ولا ينسى، ولا يتردد ولا يتمكث؛ كان قد أعد لهذه المواد المبعثرة نظامها، وهداها في إبان تشتتها إلى ما قدره لها، حتى صبغ منها ذلك العقد النظيم، وسرى بينها هذا المزاج العجيب؟

سبحان الله! هل يمتري عاقل في أن هذا العلم البشري؛ وأن هذا الرأي الأنف البدائي الذي يقول في الشي: "لو استقبلت من أمري ما استدبرت لقلت أو فعلت، ولقدمت أو أخرت" لم يك أهلًا لأن يتقدم الزمان ويسبق الحوادث بعجيب هذا التدبير؟ أليس ذلك وحده آية بينة على أن هذا النظم القرآني ليس من وضع بشر، وإنما هو صنع العليم الخبير؟ بلى؛ {وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا}[سورة النساء: ٨٢]))[1].

ولذا جاء هذا البحث كاشفًا عن موضوع: ((**مقاصد السور القرآنية .. دراسة نظرية .. تطبيقية على الحواميم**))[2]، إسهامًا في هذه الدورة المباركة، ونسأل الله أن يوفقنا بمنه وكرمه، والحمد لله رب العالمين .

وكتبه

عمرو الشرقاوي

(شهر رجب الحرام لعام ١٤٣٧ من الهجرة)

---

(١) النبأ العظيم: (١٨٨ - ١٩٠).

(٢) وقفت على عدة كتب وأبحاث في موضوع مقاصد السور، وأفضلها: بحث الدكتورة أمينة رابح، والمعنون بـ ((مقاصد السور القرآنية .. دراسة نظرية تطبيقية))، وقد حازت على درجة الدكتوراه عن هذا الموضوع من جامعة وهران بالجزائر، ثم بحث د. محمد الربيعة، ((مقاصد السور القرآنية))، وبحوث د. رشيد الحمداوي .

المبحث الأول: المدخل المفاهيمي

المطلب الأول: تعريف (المقاصد)

المطلب الثاني: تعريف (السورة)

المطلب الثالث: تعريف (مقاصد السور)

تمهيد:

يذهب الباحثون في مثل هذه المصطلحات (المركبة من مضاف ومضاف إليه) إلى تعريف كل مصطلح من المتضايفين على حِدةٍ، ثمَّ يبينون المصطلح حال التركيب، ويشرحونه مبينين محترزات التعريف، وذلك لضبط المصطلح الذي يريدون تعريفه .

المطلب الأول: تعريف المقاصد

المقاصد: جمع مقصد، والمقصد: مصدر ميمي مشتق من الفعل قصد؛ فيقال: قصد يقصد قصدًا، وعليه فإن المقصد له معان لغوية كثيرة منها:

١- الاعتماد والتوجه واستقامة الطريق، ومنه قوله تعالى: {وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ} [النحل: ٩].

٢- التوسط وعدم الإفراط والتفريط، ومنه قوله تعالى: {اقْصِدْ فِي مَشْيِك} [لقمان: ١٩].

المطلب الثاني: في تعريف السورة

للسورة عدة تعريفات عند أهل العلم، وسنعرض لأهم ما قيل فيها[1]:

الأوّل: يقال (سورة) للمنزلة من البناء، فسمّيت (السّورة) من القرآن بذلك؛ لأنّها منزلة بعد منزلة، مقطوعة عن الأخرى، أو لأنّها درجة إلى غيرها.

والثّاني: الشّرف والمنزلة، ومنه قول النّابغة:

ألم تر أنّ الله أعطاك سورة ... ترى كلّ ملك دونها يتذبذب

والثّالث: أصلها (سؤرة) وهي بقيّة الشّيء، ترك الهمز فيها تسهيلا لكثرتها في الكلام والقرآن، وعليه تكون (السّورة) بمعنى القطعة من القرآن، فسمّيت (السّورة) من القرآن بذلك لشرفها ومنزلتها[2].

مسألة: ما الفائدة في تفصي القرآن، وتقطيعه سورًا ؟

و«الفائدة في تفصيل القرآن وتقطيعه سورا كثيرة ...

منها: أن الجنس إذا انطوت تحته أنواع وأصناف كان أحسن وأفخم من أن يكون بابا واحدا.

ومنها: أن القارئ إذا ختم سورة أو بابا من الكتاب ثم أخذ في آخر كان أنشط له، وأبعث على التحصيل منه لو استمر على الكتاب بطوله، ومثله المسافر إذا اقتطع ميلا أو فرسخا وانتهى إلى رأس برية نفّس ذلك منه ونشطه للمسير، ومن ثمة جزّأ القرآن أجزاء وأخماسا.

ومنها: أن الحافظ إذا حذق السورة اعتقد أنه أخذ من كتاب الله طائفة مستقلة فيعظم عنده ما حفظه.

---

(١) انظر: مناهل العرفان: (١/ ٣٥٠)، والمقدمات الأساسية في علوم القرآن: (١٣).

(٢) انظر: لسان العرب: (٤/ ٣٨٦ - ٣٨٧).

ومنها: أن التفصيل يسبب تلاحق الأشكال والنظائر وملاءمة بعضها لبعض، وبذلك تتلاحظ المعاني والنظم، إلى غير ذلك من الفوائد»[1].

(١) البرهان، للزركشي: (١/ ٢٦٥)، والإتقان: (١/ ٢٢٩).

مسألة: أسماء السور:

يظهر أن تسمية السور كان قديمًا جدًّا، حيث كان مع بدايات النُّزول، فالتسمية كانت مكية المنشأ؛ لأن الصحابة المكيين قد رووا أحاديث كثيرة فيها أسماء للسور، ومن ذلك حديث جعفر الطيار رضي الله عنه مع النجاشي ملك الحبشة، حيث قرأ عليه سورة مريم.

والمقصود من التسمية تمييز المسمى عمن يشابهه، ويمكن تقسيم التسميات – من حيث المسمِّي – إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا كثير، ومن أمثلته:

١– ما رواه مسلم عن أبي أمامة الباهلي قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «اقرؤوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه.

اقرؤوا الزهراوين: البقرة وسورة آل عمران، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان – أو كأنهما غيايتان أو كأنهما فرقان من طير صواف – تُحَاجَّان عن أصحابهما.

اقرؤوا سورة البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا يستطيعها البطلة»[(١)].

القسم الثاني: ما ثبتت تسميته عن الصحابي، ومثال ذلك ما رواه البخاري بسنده عن سعيد بن جبير قال: «قلت لابن عباس رضي الله عنهما: سورة الحشر. قال: قل: سورة بني النضير»[(٢)].

القسم الثالث: تسمية من دون الصحابي إلى وقتنا هذا، وغالب تسمياتهم تأتي حكاية لبداية السورة؛ كقولهم: سورة (أرأيت)، سورة (لم يكن)، وهكذا؛ حيث إنه لم يرد النهي عن تسمية السور بأسماء تدلُّ عليها، وعلى هذا مضى السلف والخلف، حتى صار ما رأيتَ من تسمية السورة بحكاية أولها، وذلك هو الغالب على الكتاتيب، ودور تحفيظ القرآن الكريم.

ومما يحسن عِلْمُه في هذا الموضوع ما يأتي:

---

(١) البطلة: السحرة، صحيح مسلم برقم (٨٠٤).

(٢) صحيح البخاري برقم (٤٠٢٩).

١- أن بعض السور لها أكثر من اسمٍ، وهي إما أن تكون مما أُخِذَ عن الصحابة، أو يكون شيءٌ منها مما ثبت عنهم أو عن النبي صلى الله عليه وسلم، ثم اشتهر عند المتأخرين اسم آخر.

٢- أن تسميات السور لها علاقة بشيء مذكور في السورة، وهي على أقسام:

• منها ما يكون موضوعه مذكورًا في السورة؛ كسورة (التوبة)؛ سُمِّيت بهذا الاسم لورود موضوع التوبة على النبي صلى الله عليه وسلم والذين معه والذين خُلِّفوا، في قوله تعالى: {لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ *وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لاَ مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} [التوبة: ١١٧- ١١٨].

• ومنها ما يكون لفظ الاسم واردًا فيها، وعلى هذا أغلب التسميات؛ كتسمية سورة (التوبة) بسورة (براءة)؛ لأنَّ افتتاحها بهذا اللفظ في قوله تعالى: {بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [التوبة: ١].

• ومنها ما يكون حكاية لمطلع السورة، وهو على قسمين:

الأول: أن يكون حكاية لألفاظ أول السورة بنصِّها؛ كقولهم: سورة قل هو الله أحد.

الثاني: أن يُشتق اسم من ألفاظ أول السورة؛ كقولهم: سورة الزلزلة.

٣- أن بعض السور التي تعددت أسماؤها قد يكون بسبب من الأسباب المذكورة في الفقرة السابقة، وقد تكون واردة عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقد تكون واردة عن الصحابة، وقد تكون عمن دونهم.

ومن الوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم ما سبق في تسمية الفاتحة، حيث قال صلى الله عليه وسلم: «أم القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم»، وهي تُسمَّى بهذه الأسماء الثلاثة.

وهذا التعدد في الأسماء يرجع إلى ذات واحدة، لكن كل اسم فيها يحمل من الصفة ما لا يحمله الاسم الآخر، وهذا هو سبب تعدد المسميات للشيء الواحد، والله أعلم.

ومن الوارد عن الصحابة، ما رواه مسلم بسنده عن سعيد بن جبير: «قلت لابن عباس: سورة التوبة؟ قال: آلتوبة؟! قال: بل هي (الفاضحة) ما زالت تنْزل (ومنهم، ومنهم) حتى ظنوا أن لا يبقى منهم أحد إلا ذُكِرَ فيها.

قال: قلت: سورة الأنفال؟ قال: تلك سورة بدر.

قال: قلت: فالحشر؟ قال: نزلت في بني النضير»[1].

ولا شكَّ أن المتأمل في أسماء السور يجد لطائف من العلم، وتبرز له استفسارات تدعوه إلى البحث، فعلى سبيل المثال: لِمَ سُمِّيت سورة النمل بهذا الاسم، ولم تُسمَّ بسورة سليمان، وهو نبي عظيم من أنبياء بني إسرائيل؟!

ومثل هذا النظر مدعاة للتدبر في أسماء السور، لكن لا يخفاك أنه قد لا يخلو من تكلف، والله أعلم[2].

---

(١) صحيح مسلم برقم (٣٠٣١).

(٢) المحرر في علوم القرآن: (١٦٧).

مسألة: ترتيب السور:

فمسألة ترتيب السور فقد وقع فيها خلاف؛ هل كان بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم أم باجتهاد من الصحابة؟ وبعض العلماء يجعل الخلاف على ثلاثة أقوال:

الأول: أنه بتوقيف من النبي صلّى الله عليه وسلّم.

الثاني: أن الترتيب باجتهاد الصحابة.

الثالث: من يرى أن بعضه توقيفي وبعضه اجتهادي.

وهي تؤول – في النهاية – إلى قولين: التوقيف والاجتهاد، ولكل قول وجه معتبرٌ، وحظٌّ من النظر، والخلاف بين هذين القولين قويٌّ جدًّا، والذي يترجَّح – والله أعلم – القول الأول.

المطلب الثالث: تعريف (مقاصد السور)

يقول العلامة الفراهي في تعريف نظام القرآن: ((جماع مطالب الخطاب، فإليه مجرى الكلام، وهو المحصول والمقصود منه، فليس من أجزائه الترتيبية، ولكنه يسري فيه كالروح والسر، والكلام شرحه وتفصيله، وإنتاجه وتعليله، وربما يحسن إخفاؤه، فلا يطلع عليه إلا بعد استيفاء الكلام والتدبر فيه))[1]، والنظر في آيات السور لا يدع شكًا في أن عمود الكلام ليس إلا الأمور الكلية التي لا تتعلق بوقت ولا زمان.

واستخلص د. محمد الربيعة تعريفًا للمقاصد فذكر أن مقصد السورة هو: ((مغزى السورة الذي ترجع إليه معاني السورة ومضمونها ، ويمثل روحها الذي يسري في جميع أجزائها)).

وأن علم مقاصد السور، هو: ((علم يعرف به مغزى السورة الجامع لمعانيها ومضمونها))[2].

تنبيه: في استخدام العلماء لمصطلحات مرادفة لمقاصد السور:

للعلماء تعابير وبعض العلماء يعبرون بها عن علم مقاصد السور، ومنها: نظام السورة، وهو مصطلح العلامة الفراهي رحمه الله .

ومنها: سياق السورة، وغرض السورة، والوحدة الموضوعية، الوحدة السياقية للسورة، وموضوع السورة العام، وعمدة السورة، وهدف السورة، ومحور السورة، ومضمون السورة، ومدار السورة، وفلك السورة، وجو السورة، وشخصية السورة، وروح السورة .

تنبيه: في الفرق بين موضوعات السور، ومقاصد السور:

---

(١) دلائل النظام: (١٦).

(٢) علم مقاصد السور، د. محمد الربيعة: (٧).

لا شك أن هناك تقاربًا شديدًا بين موضوعات السورة ومقصدها، والذي يمكن تلخيصه أن نقول:

تختلف السور من حيث الطول والقِصرِ، وغالبًا ما تكون السور القصيرة ذات موضوع واحدٍ، وغالبًا ما يكون اسم السورة دالًا على موضوعها، وذلك شأن سور قصار المفصَّل من جزء عمَّ.

وإذا طالت السورة، فإنها قد تكون ذات موضوع واحدٍ يتعدد طرحه من خلال سياقات متنوعة، وقد تكون ذات موضوعات متعددة، ويمكن التمثيل لكل نوع بما يأتي:

١- سورة الصمد؛ موضوعها الإخلاص.

٢- سورة النبأ؛ موضوعها البعث، وقد تعدد طرح موضوع البعث من خلال سياقات الآية.

٣- سورة عبس، فيها موضوعات متعددة، وهي: حال المقبل على الإسلام والمعرض عنه (١ - ١٠)، وبيان منْزلة القرآن (١١ - ١٦)، وبيان شدة كفر الكافر (١٧ - ٢٣)، والاستدلال على البعث (٢٤ - ٣٣)، وأحوال الناس يوم القيامة (٣٤ - ٤٢).

وقد يظهر لبعض المتدبرين لمثل هذه السور التي تتعدد موضوعاتها خيط رفيع يجمعها في موضوعٍ واحدٍ، وهو ما اصطلح بعض المعاصرين على تسميته بمصطلح (الوحدة الموضوعية)[١]، أو (مقصد السورة)، أو (نظام السورة).

إذًا: فالمضمون هو مجرد تعداد للموضوعات التي وردت في السورة، وهذا ما صنعه الفيروز أبادي في بصائره وغيره من المفسرين، في حين إن مقصد السورة هو الغرض والغاية التي يراد إيصالها للقارئ من السورة. والعلاقة وثيقة بين الأمرين، فلن تصل للغرض والغاية إلا بمعرفة موضوعات السورة إلا أن بينهما فرقًا يجب التنبه له، والعناية به[٢].

---

(١) انظر: المحرر في علوم القرآن: (٢٠٩).

(٢) من كلام للشيخ د. عبدالرحمن الشهري .

ونبه البقاعي على ذلك فقال في أهمية علم مقاصد السور، وأن رتبته من علم التفسير أنه أوله، وأن على المشتغل بالتفسير أن يعرفه أولًا، قال: ((فيشتغل به قبل الشروع فيه، فإنه كالمقدمة له، من حيث إنه كالتعريف، لأنه معرفة تفسير كل سورة إجمالًا))[1].

(١) مصاعد النظر: (١/ ١٥٥).

المبحث الثاني: أهمية علم مقاصد السور، وجهود العلماء في بيانه

المطلب الأول: أهمية علم مقاصد السور

تتبين أهمية علم مقاصد السور بأمور:

((أولًا[1]: أن علم مقاصد السور راجع إلى تحقيق المقصد من إنزال هذا القرآن كله وهو التدبر والهداية، كما قال تعالى {كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته} [ص: ٢٩] فالله تعالى أمرنا بالتدبر، لمعرفة مراده تعالى من كلامه والعمل به، وليس المقصود بالتدبر هو النظر في عباراته وألفاظه دون النظر لمقاصده ومراد الله تعالى فيه، وما تهدي إليه سوره وآياته من الهدايات والدلالات التي بها يتحقق الفهم والعمل، ومن هنا تتبين أهمية علم المقاصد، إذ أنه يركز على تحقيق مراد الله تعالى في كلامه، بالنظر إلى مجمل السورة وبيان مجمع معانيها.

قال الشاطبي: ((فإن كل عاقل يعلم أن مقصود الخطاب ليس هو التفقه في العبارة، وإنما التفقه في المعبّر عنه والمراد به، كما يعلم من أن المساقات تختلف باختلاف الأحوال والأوقات، فلا محيص للمتفهم عن التعلق بأول الكلام وآخره ليحصل له المقصود منه، فإن فرّق النظر لم يتوصل إلى المراد))[2].

ثانيًا: أن مقصد السورة هو أصل معانيها التي ترجع إليه، فهو أصل في فهم معاني كلام الله تعالى، ولهذا فإن معاني السورة لا تتحقق إلا بعد استيفاء جميعها بالنظر واستخراج مقصدها.

وقد قرر ذلك الشاطبي فقال: ((اعتبار جهة النظم في السورة لا يتم به فائدة إلا بعد استيفاء جميعها بالنظر؛ فالاقتصار على بعضها غير مفيد للمقصود منها، كما أن الاقتصار على بعض الآية في استفادة حكم ما لا يفيد إلا بعد كمال النظر في جميعها))[1].

---

(١) انظر: علم مقاصد السور، للربيعة: (١١).

(٢) الموافقات: (٣/ ٤٠٩).

ثالثًا: أن معرفة مقصد السورة الذي تنتظم به معانيها وآياتها سبيل للسلامة من الخطأ وتفسير كلام الله على غير مراده[٢].

رابعًا: أن تفسير القرآن باعتبار مقاصد السور هو المنهج الأسلم الذي يجعل كلام الله مؤتلفًا منتظمًا على نحو كمال نظمه ومعناه، وتكون السورة معه كالبناء المرصوص وكالعقد المتناسق.

قال البقاعي في بيان أثره في السورة: ((تكون السورة كالشجرة النضيرة العالية، والدوحة البهيجة الأنيقة الخالية، المزينة بأنواع الزينة المنظومة بعد أنيق الورق بأفنان الدر، وأفنانها منعطفة إلى تلك المقاطع كالدوائر، وكل دائرة منها لها شعبة متصلة بما قبلها، وشعبة ملتحمة بما بعدها، وآخر السورة قد واصل أولها، كما لاحم انتهاؤها ما بعدها، وعانق ابتداؤها ما قبلها، فصارت كل سورة دائرة كبرى، مشتملة على دوائر الآيات الغرّ، البديعة النظم، العجيبة الضم، بلين تعاطف أفنانها، وحسن تواصل ثمارها وأغصانها))[٣].

ويقول محمد دارز في كتابه النبأ العظيم مؤكدًا ذلك ومجليه: ((لماذا نقول إن المعاني تنتسق في السورة كما تنتسق الحجرات في البنيان؟ لا. بل إنها لتلتحم فيها كما تلتحم الأعضاء في جسم الإنسان، فبين كل قطعة وجارتها رباط موضعي من أنفسهما، كما يلتقي العظمان عند المفصل، ومن فوقهما تمتد شبكة من الوشائج تحيط بهما عن كثب، كما يشتبك العضوان بالشرايين والعروق والأعصاب، ومن وراء ذلك كله يسري في جملة السورة اتجاه معين، وتؤدي بمجموعها غرضًا خاصًا، كما يأخذ الجسم قوامًا واحدًا، ويتعاون بجملته على أداء غرض واحد، مع اختلاف وظائفه العضوية))[٤].

خامسًا: بمعرفة مقصد السورة تنتظم آيات السورة وتظهر المناسبات بين آياتها فتكون لحمة واحدة يجمعها معنى واحد.

---

(١) الموافقات: (٣/ ٤١٥).

(٢) دلائل النظام: (٥٧).

(٣) مصاعد النظر: (١٤٩).

(٤) النبأ العظيم: (١٥٥).

قال البقاعي: ((ومن حقق المقصود من السورة عرف تناسب آيها وقصصها وجميع أجزائها..))[1].

وقال: ((الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن هو أنك تنظر الغرض الذي سيقت له السورة، وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات .. وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات إلى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام واللوازم التابعة له))[2].

سادسًا: أن هذا الاتجاه في التفسير هو من تفسير القرآن بالقرآن، فهو تفسير القرآن بالنظر والتأمل والتدقيق فيما توحي إليه السورة من تحقيق مراد الله تعالى في كلامه، بالنظر في افتتاح السورة واختتامها، وسابقها ولاحقها، وموضوعاتها، وألفاظها.

سابعًا: إن علم مقاصد القرآن علم يبرز إعجاز القرآن وبلاغته وكماله، فإن من إعجازه وبلاغته نظام السور في وحدة بنائها وترابطها، ولذلك تحدى العرب بسوره.

قال سعيد حوى في تفسيره الأساس: ((قد استطعت بحمد الله أن أبرهن على أن كمال القرآن في وحدة آياته في السورة الواحدة وكماله في الوحدة الجامعة التي تجمع ما بين سوره وآياته على طريقة لم يعرف لها العالم مثيلا،ولا تخطر على قلب بشر))[3].

ثامنًا: أن هذا العلم يبعث على رسوخ الإيمان، وزيادة نور القلب، وقرار العين بما يتضح من روائع هذا العلم العظيم، ويحصل معه من اللذة والمتعة والسرور ما لا يحصل في غيره، ذلك أنه علم يبحث في الحكم والمقاصد الدقيقة التي تمثل روح القرآن وأسراره العظيمة)).

وذكر الأستاذ محمد عناية الله أسد سبحاني في كتابه: ((البرهان في نظام القرآن))[4]، ملخصًا لأهمية دراسة ((نظام القرآن))، ويصلح معنا لبيان أهمية دراسة ((مقاصد السور))، ومما ذكره – مع تغيير في العبارة – ليتوافق مع عنوان بحثنا –:

١– إدراك مقصد السورة يرشد إلى فحوى الكلام وملابساته .

---

(١) مصاعد النظر: (١٤٩).

(٢) نظم الدرر: (١/ ١٧).

(٣) الأساس: (١/ ٢٧).

(٤) البرهان في نظام القرآن: (٢٠)، ملخصًا بتصرف .

٢- إدراك المقصد أو المقاصد من السورة مفتاح لكثير من كنوز القرآن وحِكَمِه .

٣- إدراك المقصد يؤدي بالدراس إلى ذروة الشوق والمحبة واللذة التي لا يصل إليها من لا يهتم به، فإن هذه المشاعر وتلك الأحاسيس تزداد بقدر زيادة المعرفة بمحاسن الكلام وحسن النظام وقوة البرهان .

وبالجملة، فإن علم مقاصد السور من العلوم المعينة على تدبر القرآن العظيم، إذ يلزم منه معرفة تفسير السورة، وتقسيمها إلى موضوعات، ومعرفة التناسب بين الآيات، وبين مقاطعها المختلفة، وكل هذا وغيره يربط القارئ بكتاب الله تعالى، ويعينه على تثوير أسئلة القرآن على نفسه، وهي غاية عظيمة ومقصد جليل .

ولكن ليحذر الدارس لهذا العالم من التكلف الواقع في الربط بين الآيات، وليكن واسع الأفق سليم الصدر، وليعلم أنه علم اجتهادي يوفق الله له من شاء من عباده .

المطلب الثاني: جهود العلماء في بيان مقاصد السور

من أول من نص على مصطلح (مقصد) أبو الزبير الغرناطي (ت: ٧٠٨) رحمه الله في (ملاك التأويل) و(البرهان في تناسب سور القرآن)، يقول في أثناء حديثه عن سورة القمر: ((سورة القمر بأسرها مقصودها تذكير كفار العرب من قريش وغيرهم بما نزل بمن تقدمهم من مكذبي الأمم))[(١)]، ثم استخدم هذا المصطلح العلماء بعده كالسيوطي وغيره، وجاء بعد ذلك الفيروزابادي فأكثر من استخدامه في (بصائر ذوي التمييز)، غير أنه يعني بمقصد السورة ما تضمنته من موضوعات، دون تحديد للمقصد الحقيقي للسورة[(٢)].

وسوف نعرض لجهود بعض العلماء الذين تميزوا في عرض وبيان مقاصد السور، والغرض هنا عرض نماذج مختارة دون استقصاء .

ومن هذا العرض سيتبين لنا أيضًا أن هذا العلم له أصولٌ بحثية عند السلف، وله موقع في علوم القرآن، وأنه من العلوم التي اهتم أهل العلم ببيانها، بل وبالتصنيف فيها[(٣)]، وقد ظهر اهتمام لبعض من صنف في التفسير ببيان مقصد السورة، والحديث عنها، ومنهم الزمخشري، والرازي، والطاهر ابن عاشور، وسيد قطب، وغيرهم .

أولًا: الإمام البقاعي (٨٨٥ هـ)

يعد البقاعي المتوفى سنة (٨٨٥هـ) هو المنظِّر الحقيقي لمصطلح (مقاصد السور) في كتابه (مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور)، فقد وصل إلى مقصد السورة بأسس منهجية اتبعها، وبينها، والقارئ

---

(١) ملاك التأويل: (٢/ ١٠٥٤)، البرهان: (٢٣٠).

(٢) انظر: ((الكتب المؤلفة في مقاصد السور؟))، د. عبدالرحمن الشهري: (الموقع الرسمي لفضيلته).

(٣) استفاض الدكتور محمد الربيعة، في تأصيل هذا العلم وبيان أدلته، واستدل له من كلام السلف، بما يوافق على بعضه، ولا يقبل بعضه إلا بتكلف ! = في رسالته: ((علم مقاصد السور)): (١٣).

لكتابه يخرج بملكة علمية في موضوع مقاصد السور، كما يتعرف على الأسس التي سار عليها البقاعي في استخراجه لمقصد السورة، دون أن يكون أسيرًا لاجتهاد المؤلف دون معرفة لطريقة الوصول للمقصد.

والبقاعي يبين في مقدمته للكتاب أن ((كل سورة لها مقصد واحد يدار عليه أولها وآخرها، ويستدل عليه فيها، فترتب المقدمات الدالة عليه على أتقن وجه، وأبدع نهج، وإذا كان فيها شيء يحتاج إلى دليل استدل عليه، وهكذا في دليل الدليل، وهلم جرًا. فإذا وصل الأمر إلى غايته ختم بما منه كان ابتدأ، ثم انعطف الكلام إليه، وعاد النظر عليه، على نهجٍ آخر بديع، ومرقى غير الأول منيع))[1].

وقد أعاد وأفاض في بيان المقصد العام للسور، والمقاصد الفرعية لها، ودلالة أسماء السور على مقاصدها، وتداخل هذه المعطيات للوصول إلى المراد بأسلوب جدير بالدراسة والبحث.

وقد ذكر محصل كتابه قائلًا: ((أن من عرف المراد من اسم السور عرف مقصودها، ومن حقق المقصود منها، عرف تناسب آيها، وقصصها، وجميع أجزائها))[2].

ويرى البقاعي أن كل سورة لها مقصد واحد[3]، يقول: ((فإن كل سورة لها مقصد واحد يدار عليه أولها وآخرها، ويستدل عليه فيها، فترتب المقدمات الدالة عليه على أتقن وجه، وأبدع نهج، وإذا كان فيها شيء يحتاج إلى دليل، استدل عليه، وهكذا في دليل الدليل، وهلم جرا.

فإذا وصل الأمر إلى غايته، ختم بما منه كان ابتدأ، ثم انعطف الكلام إليه وعاد النظر عليه، على نهج آخر بديع، ومرقى غير الأول منيع، فتكون السورة كالشجرة النضيرة العالية، والدوحة البهيجة الأنيقة الخالية، المزينة بأنواع الزينة المنظومة بعد أنيق الورق بأفنان الدر، وأفنانها منعطفة إلى تلك المقاطع كالدوائر، وكل دائرة منها لها شعبة متصلة بما قبلها، وشعبة ملتحمة بما بعدها، وآخر السورة قد واصل أولها، كما لاحم انتهاؤها ما بعدها، وعانق ابتداؤها ما قبلها، فصارت كل سورة دائرةً كبرى، مشتملة

---

(١) مصاعد النظر: (١/ ١٥٥).

(٢) المصاعد: (١/ ١٤٩).

(٣) ولا نوافقه على هذا الرأي، بل قد يكون للسورة عدة مقاصد .

على دوائر الآيات الغُرِّ، البديعة النظم، العجيبة الضم، بلين تعاطف أفنانها، وحسن تواصل ثمارها وأغصانها))[1].

ونبه أن المقصد سبب لاختلاف نظم القصص والفاظها، فقال: ((ولأجل اختلاف مقاصد السور، تتغير نظوم القصص وألفاظها، بحسب الأسلوب المفيد للدلالة على ذلك المقصد))[2][3].

وخلاصة المنهج التي اتبعه البقاعي – رحمه الله – للكشف عن مقاصد السور[4]:

تحقيق مقصود السورة من خلال اسمها، يقول البقاعي: ((اسم كل سورة مترجم عن مقصودها، لأن اسم كل شيء تلحظ المناسبة بينه وبين مسماه، عنوانه الدال بالإجمال على تفصيل ما فيه))[5]، وفي حالة التعدد في أسماء السورة، فإنه يبرز القدر المشترك بينها، والاسترشاد بمطالع السور وخواتمها.

٢– المعلم الفراهي و(نظرية النظم)

"النظام" أو "الوحدة الموضوعية"، إحدى أهم النظريات التي اشتهر بها المعلم الفراهي، وألف عدة مؤلفات للتنظير لها، ويرى المعلم أن القرآن كلام محكم منظم، وأنه لو تأخر ما تقدم أو تقدم ما تأخر لبطل النظام وفسدت بلاغة الكلام، وأن نظامه في معانيه كما هو في ترتيب آيه وسوره[6] .

والنظام ((تتجلى به محاسن السورة والحكمة التي هي تمام العلم والتقوى))[1]، وفهم الكلام لا يمكن إلا بمعرفة نظامه، ونظامه هو الهادي للانتفاع بالكتاب وتعلمه وتعليمه والعمل به وحث الناس عليه .

---

(١) مصاعد النظر: (١/ ١٤٩).

(٢) المصاعد: (١/ ١٥٢).

(٣) ممن أحسن في الكتابة عن الإمام البقاعي، الأستاذ الكبير الدكتور: محمود توفيق محمد سعد، في كتابه: الإمام البقاعي ومنهاجه في تأويل بلاغة القرآن .

(٤) انظر: مقاصد السور، د. أمينة رابح: (٥٧).

(٥) نظم الدرر: (١/ ٢٠٩).

(٦) من الكتب المهمة في استجلاء نظرية النظم كتب: دلائل النظام، للفراهي، وكتاب: إمعان النظر في نظام الآي والسور، للأستاذ د. محمد عناية الله أسد سبحاني .

ويرى الفراهي أن منهجه هذا لم يسلكه أحدٌ من المتقدمين، فإنهم عنوا بالمناسبات ولم يعتنوا بإبراز المناسبة التي بها ينتظم الكلام من أوله إلى آخره بحيث يصير شيئًا واحدًا، فالكلام بنظامه لا بمحض أجزائه .

كما دفع الشبه التي قد ترد على نظريته تلك[٢]، وبين أن النظام قد يدق عن فهم الناظر، ولا يتبين له إلا بعد زمان، وإنعام نظر، وهذا باب عظيم من أبواب الحكمة .

وأما طريقة الوصول للنظم، فيمكننا أن نستنبطها من كلامه، فنقول أن منها[٣]:

١- حسن التدبر مع الإيمان بالآخرة .

٢- القنوع في الأقوال بوجه واحد صحيح ظاهر ينتظم به الكلام، والتأمل في جذر الكلمات القرآنية .

٣- الأخذ بطريق السلف في التدبر والتماس المطابقة بين القرآن والسنة الثابتة .

٤- مراعاة السياق .

٥- معرفة موقع الكلام من الوقائع والأحوال .

ويرى الفراهي أن الدلائل على وجود النظام، هي في الكتاب في نفسه، فمنها: رعاية الفواصل، وترجيع الآيات، واتصالها على أسلوب ظاهر، وربط المعاني على وجه بين .

وقد يشتبه النظام بالتناسب، ولذلك فرق بينهما الفراهي قائلًا: ((التناسب جزء من النظام، فإن التناسب بين الآيات بعضها مع بعض لا يكشف عن كون الكلام شيئًا واحدًا مستقلًا بنفسه، وطالب التناسب ربما يقنع بمناسبة ما، فربما يغفل عن المناسبة التي ينتظم بها الكلام، فيصير شيئًا واحدًا.

وربما يطلب المناسبة بين الآيات المتجاورة مع عدم اتصالها، فإن الآية التالية ربما تكون متصلة بالتي قبلها على بعد منها.

---

(١) دلائل النظام: (٩).

(٢) الدلائل: (٢٠).

(٣) من كتابه دلائل النظام، وينظر للأهمية: (٢٨).

فإن عدم الاتصال بين آيات متجاورة يوجد كثيرًا. ومنها ما ترى فيه اقتضابًا بينًا، وذلك إذا كانت الآية أو جملة من الآيات متصلة بالتي على بعد منها))[1].

ومراعاة النظام هو المنهاج الصحيح لتدبر القرآن، والنظام هو الحكم عند تضارب الأقوال، وهو المرجح عند تعدد الاحتمالات، وهو الإقليد الذي تفتح به كنوز حكمة القرآن، وفي الكشف عن نظام القرآن لا يلجأ الإمام الفراهي إلى مناهج أهل الفلسفة والمنطق أو المتصوفة، وإنما يعتمد على القرآن نفسه، وأصول التفسير المعتمدة .

وأنت ترى أن البقاعي والفراهي اشتركا في صعوبة الوصول للمقاصد، يقول البقاعي: ((فذلك البحر الخضم، والطود العالي الأشم، فمن أراد التبحر في هذا الفن فليربط نظره، وليحط بفنائه همه، ويقف بأرجائه فكرة، والله الهادي.

وقد كان أفاضل السلف يعرفون هذا، بما في سليقتهم من أفانين العربية، ودقيق مناهج الفكر البشرية، ولطيف أساليب النوازع العقلية، ثم تناقص العلم حتى انعجم على الناس، وصار إلى حد الغرابة كغيره من الفنون))[2].

ويقول الفراهي: ((اعلم أن تعيين عمود السورة، هو إقليد لمعرفة نظامها، ولكنه أصعب المعارف، ويحتاج إلى شدة التأمل والتمحيص، وترداد النظر في مطالب السورة المتماثلة والمتجاورة، حتى بلوغ العمود كفلق الصبح، فتضيء به السورة كلها ويتبين نظامها، وتأخذ كل آية محلها الخاص، ويتعين من التأويلات المحتملة أرجحها))[3].

وهناك محاولات أخرى في هذا الباب، تتنوع إلى نوعين رئيسين:

---

(١) الدلائل: (٧٤).

(٢) مصاعد النظر: (١/ ١٥٣).

(٣) دلائل النظام: (٧٧).

١- المحاولات التأصيلية لعلم مقاصد السور، ومن أهمها: مساهمة د. محمد عبدالله دراز، وذلك في كتابه: ((النبأ العظيم))، وطبق نظريته على سورة البقرة، وهو كتاب جميل نافع جدًا، ومنها: مذكرة للشيخ د. محمد الربيعة، بعنوان: ((مقاصد السور القرآنية))، وهي رائدة في عنوانها، وفي التأصيل لهذا العلم .

٢- المحاولات التطبيقية، أهمها: مساهمات العلامة الطاهر ابن عاشور، في تفسيره: ((التحرير والتنوير))، وسيد قطب في تفسير: ((في ظلال القرآن))، وكتب الشيخ عدنان عبدالقادر، وأهم كتبه: ((جنى القلب الهايم في مقاصد السور ومحاورها)).

المبحث الثالث: مسالك استنباط مقاصد السور

لا بد من معرفة أن عبارات العلماء في تحديد مقاصد السور مختلفة، فينبغي تحريرها، فأوائلهم لم يكونوا يُعنون بهذا الأمر في تفاسيرهم، وتجد عند الزجاج والرازي وابن تيمية وغيرهم عبارات تدل على ما تضمنته السورة من موضوعات، ولكنها لا تنص على لفظة (مقصد) السورة برمتها، وهي عبارات متفاوتة في دلالتها على مقصد السورة. ومن هذه العبارات:

- قول الزجاج عند حديثه عن سورة الأنعام: ((أكثرها احتجاجٌ على مشركي العرب، على من كذب بالبعث والنشور))[(١)].

- قول الرازي عن سورة الأنعام: ((مشتملة على دلائل التوحيد، والعدل، والنبوة، والمعاد، وإبطال مذاهب المبطلين والملحدي))[(٢)].

- قول ابن تيمية عن سورة التوبة: ((أكثرها في وصف المنافقين وذمه))[(٣)][(٤)].

ولقد طرح العلماء عدة طرق لاستنباط مقاصد السور، وقد سبق الحديث عن مسالك كل من البقاعي والفراهي في استنباط مقاصد السور القرآنية، وسأقتصر على عرض بعض النماذج الحديثة، والتي أرى أنها من أفضل ما طرح في هذا الموضوع:

---

(١) معاني القرآن، وإعرابه: (٢/ ٢٧٧).

(٢) تفسير الرازي: (٦/ ١١٧).

(٣) مجموع الفتاوى: (٧/ ٤٦٦).

(٤) انظر: د. عبدالرحمن الشهري، مرجع سابق .

أولًا: د. مساعد الطيار[1]:

ذكر الشيخ د. مساعد الطيار مسلكًا لمعرفة مقصود السورة، وهو قوله:

((يمكن استنباط (الوحدة الموضوعية) أو ما كان يسميه بعض العلماء (مقصد السورة) من خلال النظر في: (اسم السورة – موضوعات السورة – ملابسات السورة – تفسير السورة الإجمالي.

ولا شكَّ أن البحث في موضوع الوحدة الموضوعية شائقٌ، إلا أنه مظنَّة للتكلُّف، والقول على الله بغير علم، وقد تأخرت العناية بهذا الموضوع، ولم ترد فيه كتابات موضوعية سوى شذرات متفرقة في كتابات بعضهم كما سيرد النقل بذلك عنهم، وهذا الموضوع جدير بالعناية، والكتابات المعاصرة عنه في تزايد، وهو يفيد الدارسين في جمع الموضوعات التي تحدث عنها القرآن الكريم، وكيفية تطرقه لها، وكيفية معالجته لكثير من هذه الموضوعات.

وممن اعتنى بذكر موضوعات السور: الفيروزآبادي (ت٨١٧هـ) في كتابه «بصائر ذوي التمييز»؛ البقاعيُّ (ت٨٨٥هـ) في كتابه «مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور»؛ والطاهر بن عاشور (ت١٣٩٣هـ) في كتابه «التحرير والتنوير».

أمثلة من عناية العلماء السابقين بهذا الموضوع:

١ – ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية (ت٧٢٨هـ) موضوعات سورة البقرة، وأفاض فيها، ومن أول كلامه في هذا الموضوع ما يأتي: «وقد ذكرت في مواضع ما اشتملت عليه سورة البقرة من تقرير أصول العلم، وقواعد الدين: أن الله تعالى افتتحها بذكر كتابه الهادي للمتقين، فوصف حال أهل الهدى، ثم الكافرين، ثم المنافقين، فهذه جُمَلٌ خبرية، ثم ذَكَرَ الجُمَلَ الطلبيَّة، فدعا الناس إلى عبادته وحده، ثم ذكر الدلائل على ذلك: من فرش الأرض، وبناء السماء، وإنزال الماء، وإخراج الثمار رزقًا للعباد، ثم قرَّر الرسالة، وذكر الوعد والوعيد، ثم ذكر مبدأ النبوة والهدى وما بثه في العالم من الخلق والأمر، ثم ذكر تعليم آدم الأسماء وإسجاد الملائكة له لما شرفه من العلم، فإن هذا تقرير لجنس ما بعث به محمد صلّى الله عليه وسلّم من الهدى ودين الحق فقص جنس دعوة الأنبياء، ثم انتقل إلى خطاب بنى إسرائيل وقصة موسى

(١) المحرر في علوم القرآن: (٢٠٩).

معهم، وضمن ذلك تقرير نبوته؛ إذ هو قرين محمد صلّى الله عليه وسلّم، فذكر آدم الذي هو أول وموسى الذي هو نظيره، وهما اللذان احتجَّا، وموسى قتل نفسًا فغُفِر له، وآدم أكل من الشجرة فتاب عليه.

وكان في قصة موسى ردٌّ على الصابئة ونحوهم ممن يُقِرُّ بجنس النبوات ولا يوجب اتباع ما جاءوا به، وقد يتأولون أخبار الأنبياء.

وفيها رد على أهل الكتاب بما تضمنه ذلك من الأمر بالإيمان بما جاء به محمد صلّى الله عليه وسلّم، وتقرير نبوته، وذكر حال من عدل عن النبوة إلى السحر، وذكر النسخ الذي ينكره بعضهم، وذكر النصارى، وأن الأمتين لن يرضوا عنه حتى يتبع ملتهم، كل هذا في تقرير أصول الدين من الوحدانية والرسالة ...»[1].

٢- ذكر الشاطبي (ت٧٩٥هـ) في «الموافقات» مجمل موضوعات سورة البقرة، فقال: «ثم لما هاجر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى المدينة كان من أول ما نزل عليه سورة البقرة، وهي التي قررت قواعد التقوى المبنية على قواعد سورة الأنعام، فإنها بينت من أقسام أفعال المكلفين جملتها، وإن تبيَّن في غيرها تفاصيلُ لها؛ كالعبادات التي هي قواعد الإسلام، والعادات من أصل المأكول والمشروب وغيرهما، والمعاملات من البيوع، والأنكحة وما دار بها، والجنايات من أحكام الدماء وما يليها.

وأيضًا، فإن حفظ الدين فيها، وحفظ النفس والعقل والنسل والمال مضمن فيها، وما خرج عن المقرر فيها فبحكم التكميل، فغيرها من السور المدنية المتأخرة عنها مبني عليها كما كان غير الأنعام من المكي المتأخر عنها مبنيًا عليها»[2]).

---

(١) ينظر: الفتاوى: (١٤/ ٤١)، وما بعدها.

(٢) الموافقات للشاطبي، تحقيق مشهور آل سلمان: (٤/ ٢٥٧)، ويحسن الرجوع إلى هذه المسألة بكمالها، فقد اجتزأت منها ما يتعلق بالموضوع هنا، وهو يتحدث عن مسألة مهمة، وهي أن المدني من السور منَزَّل في الفهم على المكي.

ثانيًا: د. محمد الربيعة[1]:

حدد الدكتور محمد الربيعة عدة مسالك للكشف عن مقاصد السور، وهي:

((الأول: الفهمُ الصحيحُ للمقصدِ وحدِّهِ وضابطِهِ .

فالغرضُ هو مغزى الكلام وروحُهُ يدني فيه بخفاءٍ فيحتاجُ دقّةِ فهمٍ وإلى نظرٍ ثاقبٍ. امّا الموضوعُ فهو ظاهرٌ في السورةِ الّتي اشتملت عليه وإن كان لا بدَّ من تلازمٍ والاتفاقَ بينَهُما.

الثاني: صفاءُ الذّهنِ، ودقّةِ النظرِ، وإدامةُ التامُّلِ في كتابِ اللّهِ عزَّ وجلَّ، وبعدِ الغوصِ فيه، وتكرارِ البحثِ والتّحري فيه لطلبِ الغرضِ وتعيينِهِ بقرائنِهِ المختلفةِ.

الثالث: صدقُ النّيّةِ في طلبِ فهمِ كلامِ اللّهِ تعالى، وإقبالِ القلبِ عليه، واللّجوءِ إلى اللّهِ وطلبِ توفيقِهِ .

الرابع: معرفةُ مقدّماتِ السورةِ مِن أحوالِ نزولِها وخصائصِها وفضائلِها .

الخامس: معرفةُ مقاصدِ القرآنِ العامّةِ، والانطلاق منها لتحديدِ مقصدِ كلِّ سورةٍ .

السادس: النظرُ لاسمِ السورةِ، وما وردَ مِن أسمائها، وإمعانُ النظرُ في الربطِ بينهُما .

السابع: الاطلاع على الآثار الواردة عن السلف في بيان ما أنزلت فيه السورة وما يكون منطلقًا لتحديد مقاصدها .

الثامن: النظرُ في افتتاحيّةِ السورةِ وخاتمتِها والتأمُّلِ في الرابطِ بينهما .

التاسع: النَّظرة الكُلِيَّة للسّورة ومراعاة سياقها العام، والمناسبات والروابط فيها .

العاشر: إمعان النّظر في دلالات الكلمات والألفاظ وقُوّة اختيارها .

الحادي عشر: المعايشة الروحية الحية للسورة .

الثاني عشر: المدارسة والمباحثة بين شخصين فأكثر في بيت من بيوت الله .

---

(١) انظر: علم مقاصد السور: (٤٧)، وانظر شرحها للشيخ د. محمد الخضيري .

الثالث عشر: الاستعانة ببعض الكتب والتفاسير التي تعتني بمقاصد السور)).

ثالثًا: الأستاذ: علال بوربيق[1]:

يقول الأستاذ:

((إذا أردنا أن نكشف عن وجوه المناسبات بين آي سورة لابد أن نتبع – في نظري – الطريقة التالية:

١– البحث عن أسماء السورة الواردة في القرآن الكريم أو في السنة النبوية أو على لسان السلف الصالح.

يقول البقاعي: ((وقد ظهر لي: أن اسم كل سورة مترجم عن مقصودها لأن اسم كل شيء تظهر المناسبات بينه وبين مسماه عنوانه الدال إجمالا على تفصيل ما فيه))[2].

ويقول في كتابه مصاعد النظر: ((إن من عرف المراد من اسم السورة عرف مقصودها، ومن حقق المقصود منها عرف تناسب آيها وقصصها وجميع أجزائها))[3].

٢– محاولة تفسير هذه الأسماء والربط بينها وبين الجو العام للسورة، يقول الطاهر ابن عاشور متحدثًا عن تسمية سورة البقرة: ((وكذلك قول خالد بن معدان إنها فسطاط القرآن والفسطاط ما يحيط بالمكان لإحاطتها بأحكام كثيرة))[4].

٣– جمع الآثار الواردة في فضائل السورة .

٤– الاستعانة ببعض سور القرآن في الكشف عن بعض مقاصد السورة .

يقول الإمام الشاطبي: ((وأول شاهد على هذا أصل الشريعة نفسها؛ فإنها جاءت مصححة لما أُفسد من ملة إبراهيم عليه السلام، ثم نزلت فيها سورة الأنعام مبيّنة لقواعد العقائد وأصول الدين من أول إثبات الربوبية إلى إثبات الإمامة. ثم لما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة كان أول ما نزل سورة البقرة التي قررت قواعد التقوى المبنية على سورة الأنعام؛ فبيّنت العبادات والعادات والمعاملات والجنايات وحفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال، فكان غيرها من السور المدنية المتأخرة عنها مبنيًا عليها، كما

---

(١) مقال منشور بملتقى أهل التفسير، بعنوان: ((مقاصد السور وطرق الكشف عنها)).

(٢) نظم الدرر: (١/ ١٤٢).

(٣) مصاعد النظر: (١/ ١٤٩ – ١٥٠).

(٤) التحرير والتنوير: (١/ ١١٨).

كان غير سورة الأنعام من السور المكية مبنيًا عليها، وإذا نظرت إلى سائر السور بعضها مع بعض في الترتيب وجدتها كذلك حذو القُذة بالقذة، فلا يغيبن عنك هذا المعنى فإنه من أسرار علوم التفسير))[1].

٥- تحديد مقصود السورة:

يقول البقاعي: ((... ومقصود كل سورة هاد إلى تناسبها))[2].

وقال رحمه الله: ((فعلم مناسبات القرآن: علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المقال لمقتضى الحال. وتتوقف الإجادة فيه على معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيها))[3].

ثم قال: ((فإن كل سورة لها مقصد واحد يدار عليه أولها وآخرها ويستدل عليه فيها؛ فترتب المقدمات الدالة عليه على أكمل وجه وأبدع منهج، وإذا كان فيها شيء يحتاج دليلًا استدل عليه. وهكذا في دليل الدليل وهلم جرًا))[4].

٦- التعرف على روح شخصية السورة.

يقول سيد قطب: ((ومن ثم يلحظ من يعيش في ظلال القرآن أن لكل سورة من سوره شخصية مميزة! شخصية لها روح يعيش معها القلب كما لو كان يعيش مع روح حي مميز الملامح والسمات والأنفاس))[5].

٧ - تحديد موضوع السورة أو موضوعاتها:

يقول سيد قطب: ((ولها موضوع رئيسي أو عدة موضوعات رئيسية مشدودة إلى محور خاص))[6].

---

(١) الموافقات: (٧١٣).
(٢) نظم الدرر: (١/ ١٨ - ١٩).
(٣) مصاعد النظر: (١/ ١٤٢).
(٤) مصاعد النظر: (١/ ١٤٩ - ١٥٠).
(٥) الظلال: (١/ ١٨).
(٦) الظلال: (١/ ١٨).

٨- المعايشة للجو الذي يظلل موضوع أو موضوعات السورة:

يقول سيد قطب: ((و- لكل سورة - جو خاص يظلل موضوعاتها كلها ويجعل سياقها يتناول هذه الموضوعات من جوانب معينة ، تحقق التناسق بينها وفق هذا الجو))[١].

٩- الإيقاع الصوتي للسورة القرآنية:

وذلك بالنظر في جملها من حيث الطول والقصر، وفي ألفاظها من حيث القوة والمتانة أو السهولة واللطافة، وفي مدودها من حيث الطول والقصر يقول سيد قطب: ((ولها - أي السورة - إيقاع موسيقي خاص إذا تغير في ثنايا السياق فإنما يتغير لمناسبة موضوعية خاصة))، ثم خلص إلى أن: ((هذا طابع عام في سور القرآن جميعا، ولا يشذ عن هذه القاعدة طوال السور))[٢].

١٠- تحديد المحور الخاص الذي تدور في فلكه السورة بكاملها أو ما يسميه عبد الحميد الفراهي "عمود السورة"، وتحديد هذا المحور هو من أصعب الخطوات التي يواجهها الباحث، وقد أفصح عن ذلك عبد الحميد الفراهي حين قال: "اعلم أن تعيين عمود السورة هو إقليدٌ لمعرفة نظامها .. ولكنه أصعب المعارف، ويحتاج إلى شدة التأمل والتمحيص، وترداد النظر في مطالب السورة المتماثلة والمتجاورة، حتى يلوح العمود كفلق الصبح، فتضيء به السورة كلُّها، ويتبين نظامُها، وتأخذ كل آية محلها الخاص، ويتعين من التأويلات المحتملة أرجحها))[٣].

١١- إلقاء الضوء على الملابسات التي نزلت أثنائها السورة القرآنية، وهنا يأتي دور السيرة النبوية، فالمتطلع لمعرفة مقاصد سورة الفتح عليه أن يعرف دقائق ما حدث في صلح الحديبية، وما بعدها .

١٢- تتبع المراحل التي نزلت خلالها السورة القرآنية، وذلك بتتبع أسباب نزول آياتها.

١٣- محاولة تقسيم السورة إلى مقدمة أو مقدمات وهو ما يطلق عليه اسم الديباجة، وإلى موضوع أو موضوعات تتناولها السورة بنظام لا يتداخل فيه جزء مع جزء آخر، وإلى خاتمة تقابل ديباجة السورة.

---

(١) الظلال: (١/ ١٨).

(٢) الظلال: (١/ ١٨).

(٣) دلائل النظام للشيخ عبد الحميد الفراهي: (ص: ٧٧).

وهذا الرأي لعبد الله دراز[1] وقد سبقه الإمام الشاطبي إلى فكرة تقسيم السورة ولكن بشكل أدق فهو يرى أن كلام الباري يساق فمنه ما هو كالمقدمات والتمهيدات، ومنه ما هو كالمؤكد والمتمم، ومنه ما هو المقصود في الإنزال، ومنه ما هو كالخواتم العائدة على ما قبلها بالتأكيد والتثبيت[2].

١٤- النظرة الكلية للسورة بحيث لا يشغلك جزء من أجزائها أو مقطع من مقاطعها - وقد يكون هذا الجزء مقدمة أو تمهيد للمقصد المطلوب - عن المقصد العام، وقد نبه الشاطبي رحمه الله على هذا حين قال: ((فلا محيص للمتفهم عن رد آخر الكلام على أوله، وأوله على آخره وإذ ذاك يحصل مقصود الشارع في فهم المكلف، فإن فرّق النظر في أجزائه فلا يتوصل به إلى مراده، فلا يصح الاقتصار في النظر على بعض أجزاء الكلام دون بعض إلا في موطن واحد؛ وهو النظر في فهم الظاهر بحسب اللسان العربي وما يقتضيه))[3].

١٥- رد مقاطع السورة إلى مطالعها يقول ابن القيم في كتابه القيم "بدائع الفوائد" متحدثا عن سورة "الكافرون": ((وهو أن مقصود السورة براءته من دينهم ومعبودهم هذا هو لبها ومغزاها وجاء ذكر براءتهم من دينه ومعبوده بالقصد الثاني مكملا لبراءته ومحققا لها فلما كان المقصود براءته من دينهم بدأ به في أول السورة ثم جاء قوله لكم دينكم مطابقا لهذا المعنى أي لا أشارككم في دينكم ولا أوافقكم عليه بل هو دين تختصون أنتم به لا أشرككم فيه أبدا فطابق آخر السورة أولها. فتأمله))[4].

١٦- مراعاة مقتضى الحال فمواطن الخوف من الهلاك وحلول العذاب ليست كمواطن الأمن والاستقرار فنداءات نوح عليه السلام لابنه في مشهد الطوفان المهول وإذا بـ"فحال بينهما الموج" تختلف عن الأب الذي يجلس مع ولده جلسة إيمانية مطمئنة -كما توضحه سورة لقمان - وقد أُتِيَ هذا الأب حكمة وعلما، وأُتِيَ هذا الولد حسن اصغاء واستماع.

---

(١) النبأ العظيم .

(٢) الموافقات: (٧١٧ - ٧١٨).

(٣) الموافقات: (٧١٧).

(٤) البدائع: (١/ ١٤٦).

١٧- مداومة النظر في علوم اللغة العربية.

١٨- تلاوة السورة مرة بعد مرة وفي أزمنة مختلفة وفي أماكن مختلفة. مع تخصيص كل تلاوة لضابط من هذه الضوابط.

ويمكن أن نضيف هنا نكتة ذكرها العلامة شمس الدين ابن قيم الجوزية في كتابه بدائع الفوائد: ((وحقيق بكل من يتصدى لعلوم القرآن أن يجعل هذا الكتاب أنيسه ورفيقه فكم فتح به من مُقفَل، وأوضح فيه من مُشكِل)).

١٩- وهو تأثير فواتح السور في موضوعها ومقصودها حتى ولو كانت هذه الفواتح حروفا، يقول ابن القيم وهو يبين هذا التأثير من خلال ثلاث سور افتتحت بالحروف، ((فائدة في سر اشتمال الم على هذه الحروف الثلاثة، تأمل سرًا: (الم) كيف اشتملت على هذه الحروف الثلاثة فالألف إذا بدأ بها أولًا كانت همزة، وهي أول المخارج من أقصى الصدر واللام من وسط مخارج الحروف، وهي أشد الحروف اعتمادًا على اللسان والميم آخر الحروف ومخرجها من الفم. وهذه الثلاثة هي أصول مخارج الحروف، أعني الحلق واللسان والشفتين. وترتيب في التنزيل من البداية إلى الوسط إلى النهاية. فهذه الحروف معتمد المخارج الثلاثة التي تتفرع منها ستة عشر مخرجًا، فيصير منها تسعة وعشرون حرفًا عليها مدار كلام الأمم الأولين والآخرين مع تضمنها سرًا عجيبًا. وهو أن للألف البداية واللام التوسط والميم النهاية، فاشتملت الأحرف الثلاثة على البداية والنهاية والواسطة بينهما. وكل سورة استفتحت بهذه الأحرف الثلاثة فهي مشتملة على بدء الخلق ونهايته وتوسطه، فمشتملة على تخليق العالم وغايته وعلى التوسط بين البداية والنهاية من التشريع والأوامر. فتأمل ذلك في البقرة وآل عمران وتنزيل السجدة وسورة الروم)). ثم قال يرحمه الله: ((وتأمل السور التي اشتملت على الحروف المفردة. كيف تجد السورة مبنية على كلمة ذلك الحرف، فمن ذلك ق والسورة مبنية على الكلمات القافية من ذكر القرآن وذكر الخلق وتكرير القول ومراجعته مرارًا والقرب من ابن آدم وتلقي الملكين قول العبد وذكر الرقيب وذكر السائق والقرين والإلقاء في جهنم والتقديم بالوعيد وذكر المتقين وذكر القلب والقرون والتنقيب في البلاد وذكر القيل مرتين وتشقق الأرض وإلقاء الرواسي فيها وبسوق النخل والرزق وذكر القوم وحقوق الوعيد. ولو لم يكن إلا تكرار القول والمحاورة وسر آخر وهو أن كل معاني هذه السورة مناسبة لما في حرف القاف من الشدة والجهر والعلو والانفتاح)). ثم أكد ذلك بمثال آخر فقال: ((وإذا أردت زيادة إيضاح هذا

فتأمل ما اشتملت عليه سورة ص من الخصومات المتعددة، فأولها خصومة الكفار مع النبي صلى الله عليه وسلم وقولهم: أجعل الآلهة إلهًا واحدًا إلى آخر كلامهم، ثم اختصام الخصمين عند داود، ثم تخاصم أهل النار، ثم اختصم الملأ الأعلى في العلم وهو الدرجات والكفارات، ثم مخاصمة إبليس واعتراضه على ربه في أمره بالسجود لأدم، ثم خصامه ثانيًا في شأن بنيه وحلفه ليغوينهم أجمعين إلا أهل الإخلاص منهم. فليتأمل اللبيب الفطن هل يليق بهده السورة غير ص وبسورة ق غير حرفها. وهذه قطرة من بحر من بعض أسرار هذه الحروف والله أعلم))[1].

٢٠- مراعاة الألفاظ التي تتكرر في السورة فكثيرا ما تكون هادية إلى موضوع السورة، والذي بدوره يعين على التعرف على مقصودها يقول البقاعي رحمه الله: ((وسورة مريم مقصودها شمول الرحمة ففُتحت بذكر الرحمة وخُتمت بأن كل من كان على نهج الخضوع لله يجعل له وُدّا ثم كُرِّر الوصف بالرحمن فيها تكريرًا يلائم مقصودها))[2].

٢١- تلاوة السورة مرة بعد مرة وفي أزمنة مختلفة وفي أماكن مختلفة، مع تخصيص كل تلاوة لضابط من هذه الضوابط.

٢٢- أن يهيئ الباحث نفسه للتلاوة مراعيا جميع الآداب الشرعية، وفي مقدمتها فتح قلبه للتلقي؛ فإن هذا القرآن بقدر ما تُفتحُ له القلوب يَفتح لها من كنوزه

وتحديد مقصود السورة يختلف فيه العلماء بحسب استحضارهم لهذه الوسائل وبحسب ما يفتح الله لهم من كنوز هذا القرآن خذ مثلا سورة البقرة، فالإمام الشاطبي يرى أنها سيقت لتقرير الأحكام[3]، وفي موضع آخر قال: إنها: "قررت قواعد التقوى المبنية على سورة الأنعام؛ فبيّنت العبادات، والعادات، والمعاملات، والجنايات، وحفظ الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال"[4].

---

(١) بدائع الفوائد: (٢/ ١٤٣ - ١٤٤).

(٢) مصاعد النظر: (١/ ١٥٠).

(٣) الموافقات: (٧١٧ - ٧١٨).

(٤) الموافقات: (٧١٣).

غير أن البقاعي يرى أن سورة البقرة هي سورة هذا الكتاب وقد صرح بذلك في مواطن عدة من تفسير السورة فهو يقول: ((ذكر سبحانه كفرهم بهذا الكتاب الذي مقصود السورة وصفه بالهدى، وفي ذلك رجوع إلى وصف الكتاب الذي هو مقصود السورة لأن هذه سورة الكتاب المدعو به الخلق))، ((ولما كان مقصود هذه السورة الإحاطة الكتابية كان ذلك إفصاحها ومعظم آياتها))[1].

يقول الامام الطاهر بن عاشور بعد أن أظهر عجزه في البحث عن أغراض سورة البقرة بقوله: ((هذه السورة مترامية أطرافها، وأساليبها ذات أفنان. قد جمعت من وشائج أغراض السور ما كان مصداقا لتلقيبها فسطاط القرآن. فلا تستطيع إحصاء محتوياتها بحسبان، وعلى الناظر أن يترقب تفاصيل منها فيما يأتي لنا من تفسيرها)) ثم حاول بعد ذلك بقوله: ((ولكن هذا لا يحجم بنا عن التعرض إلى لائحات منها ... ومعظم أغراضها ينقسم إلى قسمين: قسم يثبت سمو هذا الدين على ما سبقه وعلو هديه وأصول تطهيره النفوس، وقسم يبين شرائع هذا الدين لأتباعه وإصلاح مجتمعهم))[2].

ويرى سيد قطب أن السورة: ((تضم عدة موضوعات. ولكن المحور الذي يجمعها كلها محور واحد مزدوج يترابط الخطان الرئيسيان فيه ترابطا شديدا .. فهي من ناحية تدور حول موقف بني إسرائيل من الدعوة الإسلامية في المدينة، واستقبالهم لها، ومواجهتهم لرسولها صلى الله عليه وسلم وللجماعة المسلمة الناشئة على أساسها ... وسائر ما يتعلق بهذا الموقف بما فيه تلك العلاقة القوية بين اليهود والمنافقين من جهة، وبين اليهود والمشركين من جهة أخرى .. وهي من الناحية الأخرى تدور حول موقف الجماعة المسلمة في أول نشأتها؛ وإعدادها لحمل أمانة الدعوة والخلافة في الأرض))[3].

ويرى الفراهي أن: ((سورة البقرة هي سورة الإيمان المطلوب؛ ولذلك جمعت دلائله))[4].)).

---

(١) نظم الدرر في مواضع متعددة من تفسير سورة البقرة ونلاحظ أن البقاعي لا يلتزم بمنهج محدد في ذكر مقصود السورة؛ فيذكره أحيانا في مقدمة السورة كما فعل في آل عمران وأحيانا في وسطها كما في سورة الزخرف، وأحيانا أخرى في وسطها وآخرها كما في سورة البقرة.

(٢) التحرير والتنوير: (١/ ١١٨ - ١١٩).

(٣) في ظلال القرآن: (١/ ١٦).

(٤) دلائل النظام: (ص: ٩٣).

رابعًا: د. عصام العويد[1]:

يقول: ((كيف يمكن أن نستخرج مقصود السورة؟

وهذا يمكن بإحدى ثلاثة وسائل:

١- أن ينص العلماء من السلف وأهل التحقيق على أن مقصود السورة كذا وكذا.

وهذا مع أنه نقل لكن لصعوبة هذا العلم ودقته ولتعلقه بالكلام على الله عز وجل في أعظم كتبه كانت هذه الطريقة هي أولاها وأسلمها، وكلامهم في هذا ليس بالقليل لمن تتبعه، ولا يعني هذا التسليم لما ذكروه، لكن الوقوف على أقوالهم في هذه المسألة له أهمية بالغة، للفرق الكبير بين علمهم وعلمنا بكتاب ربنا سبحانه.

والأمثلة على هذا كثيرة كما نصوا على أن سورة النحل نزلت في النعم، وسورة الليل في السخاء والبخل، وسورة القلم في الخلق وغيرها كثير، وقد طرحتها في هذا الملتقى في موضوع سابق.

٢- أن يكون موضوع السورة ظاهرًا من اسمها، أو من مطلعها أو بهما معًا.

مثال ذلك: سورة القيامة: فمن اسمها ومن مطلعها مقصود السورة هو الكلام عن يوم القيامة، وسورة النساء في الضعفاء، وسورة الزخرف في حقارة الدنيا، وهكذا.

٣- الاستقراء والتتبع:

ويكون بالتأمل في آيات السورة وموضوعاتها، والكلمات التي يكثر دورانها فيها، والاستقراء يكون نافعًا عند الأصوليين إذا كان كاملًا أو أغلبيًا، أما الاستقراء الجزئي فلا عبرة به.

ومثال ذلك: سورة الأنبياء: هي في الذكر الذي نزل على جميع الأنبياء ولم يختص بأحد منهم وقد تكررت كلمة الذكر فيها كثيرا، وقد أشار إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية، ومن ذلك سورة الماعون: فهي في أخلاق الكافرين فجاءت لتأمر بمكارم الأخلاق الواجبة على المؤمنين، وأن من انتقص شيئًا منها

---

(١) من تعليق له بملتقى أهل التفسير .

فقد ترك شيئًا من واجبات الدين، وأن من اتصف بالصفات التي نهت عنها، فقد اتصف بصفات الذين يكذبون بيوم الدين، وهكذا)).

خامسًا: د. رشيد الحمداوي[1]:

((تناول فيه ما أطلق عليه الباحثون في مجال التفسير الموضوعي للسور "نظام السورة"، أو"محور السورة"، أو "الوحدة الموضوعية للسورة"، وذكر أنه اختار التعبير عن هذا النظام أو المحور بـ "وحدة نسق السورة"، وعرّف هذه الوحدة بقوله: ((وعنيت بها: التحام موضوعات السورة القرآنية وتماسك بنائها، واتساق معانيها لخدمة مقصود واحد)).

وعلل هذا الاختيار بقوله: ((كلمة النسق – في رأيي – أدل على التكامل والتناسب من الناحيتين المعنوية والبيانية ... وآثرت التعبير بوحدة النسق على التعبير بالوحدة الموضوعية دفعا لما قد يتوهم من أن هذه الأخيرة تقضي بأن للسورة موضوعا واحدا، والحقيقة أن معظم السور القرآنية متعددة الموضوعات، ولكنها – مع تعددها – ملتحمة في نسيج واحد، متحدة في هدف عام تتجه إليه)).

وبعد ثلاث مقدمات ذكر فيها مميزات مقصود السورة، وطبيعة نسق السورة وأوجه ارتباطها، وأوجه الانتقال بين المعاني في السورة الواحدة = ذكر سبعة مسالك للكشف عن وحدة نسق السورة القرآنية "مقصود السورة"، وهي:

١- معرفة الفترة الزمنية التي نزلت فيها معظم آيات السورة.

٢- تقسيم السورة إلى أقسام حسب مضمونها.

٣- التمييز بين معاقد السورة والمعاني التي انجر إليها السياق لداع من الدواعي.

٤- تدبر فواتح السور ودلالاتها.

٥- تدبر خواتيم السور وملاحظة تناسبها مع مطلعها.

٦- التأمل في تكرار بعض الآيات أو المعاني في السورة.

٧- الاستئناس باسم السورة أو أسمائها.

---

(١) نقلته بواسطة التعريف بالبحث للشيخ د. محمد القحطاني، وانظر بحثه: ((وحدة النسق في السورة القرآنية))، بحث منشور بمجلة معهد الإمام الشاطبي، العدد الثالث، جمادى الآخرة (١٤٢٨ هـ).

وقد فصّل الباحث القول في كل مسلك من جهة البيان والتمثيل، وأورد نقولات مهمة، وتنبيهات مفيدة.

ثم ختم بحثه بقوله: ((ويبقى أن أنبه – في ختام هذا البحث – على أن ما توصل إليه المتأمل بعد طول التدبر في السورة، واستيفاء طرق كشف غرضها المحوري = أمرٌ اجتهادي لا يمكن القطع به، ولكل باحث أن يتدبر السور القرآنية، ويتفكر في تناسق آياتها وترابطها، ويستخرج مقاصدها الكلية، ما دام قد استفرغ وسعه، واستدل لما أفضى إليه تدبره، ولا ضير في الاختلاف في هذا؛ فذلك في نفسه مظهر من مظاهر ثراء القرآن وكرم عطائه)).

خلاصة

لا بد من التفريق بين المتأهل لمعرفة مقاصد السور، وغيره، فليس كل أحد يستطيع أن يصل إلى مقصد السور، بل هو من المباحث التي تحتاج إلى تحرير لكثير من العلوم المتعلقة بالسورة، أو بالآيات داخل السور .

وغير المتأهل يكفيه أن يعرف ما نص عليه أهل العلم في ذكر مقاصد السور، ويحاول أن يربط بين المقصد والموضوعات الموجودة داخل السور، وأن يستعين بذلك على التدبر الذي يطلبه ويقصد إليه .

واما المتأهل فإنه وبالنظر إلى مسالك الناس في الكشف عن مقاصد السور، نجدهم يتفقوا في أمور، ويختلفوا في أمور أخرى، ومحصل ما ذكر مما يمكن أن يكشف عن المقصود .. ما يلي:

أولًا: النظر في علوم السورة، وهي: ((١- اسم السورة، أو أسماؤها إن كان لها أكثر من اسم، ٢- مكان نزول السورة، وزمان نزولها (المكي والمدني)، ٣- عدد آي السورة، وعدد كلماتها وحروفها، ٤- فضائلها، إن كان لها فضائل ثابتة، ٥- مناسبة السورة لما قبلها، ومناسبة فاتحتها لخاتمتها، ومناسبات موضوعاتها بعضها مع بعضٍ، ٦- موضوعات السورة)).

هذا من أكثر ما يذكره المفسرون، وقد يذكرون غيرها من العلوم المتعلقة بالسورة، كالمستثنى من النُّزول المكي، وعكسه، وكالناسخ والمنسوخ فيها، وغير ذلك.

ثانيًا: النظر في محتويات السورة، وتقسيمها إلى موضوعات، والنظر في التناسب بين هذه الموضوعات، والرابط بينها، ليخرج بالخيط الناظم بين تلك الموضوعات .

ومما يتصل بذلك، معرفة تفسير الآيات، والتناسب بين الآيات، وبين أسماء السورة، وموضوعها.

ثالثًا: الاستعانة بنصوص العلماء الذين اعتنوا بذكر مقصود السور .

هذا، ونسأل الله أن يوفقنا لفهم كتابه، والعمل به، والحمد لله رب العالمين .

وكتبه: عمرو الشرقاوي (أبو عبدالله).